صعوبات التعلم

من الظواهر المقلقة التى يكاد كثير من الآباء والمربين والتربويين وخاصة المتخصصين فى علم النفس التربوى والمعرفى والعصبى والفسيولوجى يجمعون على تصاعد حدة خطورتها فى مدارسنا بمجتمعنا العربى، ظاهرة صعوبات التعلم والتى يستدل عليها من خلال الفشل المدرسى والتدنى المستمر لمستوى المتعلمين، غير أنه فى المقابل لا نلاحظ استنفارا مدرسيا ومجتمعيا كبيرا لتشخيص ومعالجة هذه الظاهرة الخطيرة، التى تهدد وظيفة المدرسة، ومستقبل أطفالنا والمجتمع عامة الذى يراهن على التنمية البشرية.

ويشير مصطلح صعوبات التعلم Learning difficulties **إلى مجموعة غير متجانسة من الأفراد ذوى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط، يظهرون تباعدا واضحا بين أدائهم المتوقع وبين أدائهم الفعلى فى مجال أو أكثر من المجالات الأكاديمية، وربما ترجع الصعوبة لديهم إلى سيطرة وظائف أحد نصفى المخ الكرويين على الآخر، أو إلى الاضطراب فى وظائف نصفى المخ المعرفية والانفعالية، كما أن هؤلاء الأفراد لا يعانون من مشكلات حسية سواء كانت «سمعية أم بصرية أم حركية» وأنهم ليسوا متخلفين عقليا ولا يعانون من حرمان بيئى سواء كان «ثقافيا أم اقتصاديا أم تعليميا» وأيضا لا يعانون من اضطرابات انفعالية حادة أو اعتلال صحى.**

أسباب متداخلة

تساهم فى صعوبات التعلم لدى المتعلمين: الصعوبات النمائية والفسيولوجية «المخلفات السلبية للمراحل النمائية السابقة، سيطرة وظائف أحد مصفى المخ الكرويين على الآخر أو الاضطراب فى وظائف نصفى المخ المعرفية والانفعالية، عدم فعالية واكتساب بعض القدرات العقلية، الفقر الغذائى، بعض المشاكل الصحية، العوائق الاجتماعية والثقافية للأسرة، الأمية ، الفقر، عدم التوافق الأسرى، عدم وجود الجو المنزلى المناسب للعمل الدراسى، كثرة المواد واللغات الدراسية، عدم كفاته الغلاف الزمنى للمواد، وغياب التواصل الفعال بين المعلم والمتعلم كذا صعوبة التعلم»

كما نجد عدة عوامل سلبية لدى المعلم نفسه تنعكس سلبيا على فعاليته، وبالتالى تساهم فى حدوث صعوبات التعلم وتؤدى بالتالى إلى الفشل

وخصائص وسمات

الدراسى، ومنها غياب الاستقرار الاجتماعى «ضعف راتب المعلم أمام التصاعد الصاروخى للأسعار ومتطلبات الحياة، الانفصال الأسرى، المعاناة اليومية فى وسائل النقل والمواصلات، غياب كثير من الخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية، خصوصا لدى المعلمين العاملين فى قطاعات الريف، شبه غياب لشروط العمل المهنية المريحة والحديثة، عدم تعميم الوسائط والوسائل التقنية الحديثة والكافية، الاكتظاظ والأقسام المشتركة التى أصبحت قاعدة للتقليص المستمر للمناصب الإدارية، كثرة المواد وساعات العمل، التواصل الإدارى والعمودى وغير الديمقراطى أحيانا، غياب الكفاءة والفعالية المرجوة، ويزداد هذا العامل سلبية أكثر مع الغياب شبه التام للتكوين المستمر الذى يجب أن يصاحب المستجدات التربوية والإصلاحية

وصعوبات التعلم تعد من الظواهر التربوية المركبة والمعقدة وعليه فإن أسباب صعوبات التعلم هى أسباب مركبة ومتداخلة، وإن أى تشخيص وعلاج أحادى وتجزيئى لها ـ كما يحدث غالبا فى منظومتنا التربوية ـ يبقى بدون جدوى ولا يعطى النتائج الإيجابية المرجوة، ومن هنا سيحاول كاتب هذه السطور ـ وهى محاولة من كاتب متخصص فى صعوبات التعلم ـ تحديد وتشخيص بعض الأسباب العوامل التى ذات الصلة بظاهرة صعوبات التعلم التى تعد أحد أسباب الفشل الدراسى فى مدرستنا المصرية بل وفى مدارس المجتمعات العربية جميعا، وذلك من خلال رؤية اجتماعية ـ تربوية ونفسية وفسيولوجية ـ ما أمكن لأهم الأسباب / العوامل التى تفتعل وتتفاعل فى المنظومة التربوية والتى تشتمل على: المتعلم المعلم، الإدارة المدرسية، الخدمات المدرسية، الأسرة، والمجتمع.. فمن بين أهم العوامل التى

الحديثة.»

كما نلاحظ شبه غياب أو عدم كفاية وجودة أشكال الدعم المدرسية النفسية والاجتماعية والثقافية للمعلم، حيث تقتصر فقط على الدعم المعرفى للمشكلات الدراسية والفشل المدرسى للمتعلم، كما لا تهتم بدعم المعلمين وبتشخيص أسباب التعثرات فى الطرق والمناهج والبرامج والكتب المدرسية.

ويمكن أن نضيف تراجع الدور التربوى للأسرة فى الدعم المنزلى والتتبع المدرسى لأبنائها. ووجود قطيعة تربوية وتواصلية بين المدرسة والأسرة. ويظن كاتب هذه السطور أن أكبر مشكل يهدد تقدم المدرسة المصرية والعربية ويذكى الفشل والهدر للمتعلمين هو تراجع صورة ودور ووظيفة المدرسة سواء لدى المتعلمين أو الأسرة على حد سواء حيث تواجهك دائما تساؤلاتهم الاستنكارية حول جدوى الدراسة إذا كان المصير هو البطالة وبالتالى هدر الوقت والمال هباء؟

ومن ناحية أخرى فإن الأفراد ذوى صعوبات التعلم لديهم عدة خصائص سلوكية وعقلية ومعرفية ونفسية ولغوية وحركية تميزهم عن أقرانهم العاديين والتى يظهر تأثيرها واضحا على مستوى تقدم الفرد فى المدرسة، وعدم قابليته للتعلم بل وتؤثر أيضا على شخصيته وقدرته على التعامل مع الآخرين سواء كان ذلك فى المدرسة أو خارجها، بالإضافة إلى ضرورة تحديد خصائص الأفراد ذوى صعوبات التعلم، وذلك لتسهيل عملية التشخيص والعلاج وتقديم الخدمات فى ضوء الخصائص المميزة لهم.

كما أن معرفة هذه الخصائص تساعد الآباء والمربين والتربويين والمتخصصين على اكتشاف هؤلاء الأفراد فى وقت مبكر مما يساعد على إمداد الفرد بالمساعدة الصحيحة وإعطائه الفرصة لتنمية المهارات المطلوبة لكى يحيا حياة ناجحة.

ويمكن تصنيف هذه الخصائص فى خمسة محاور وهى:

أ ـ خصائص سلوكية:

يتميز الأفراد ذوو صعوبات التعلم بالكثير من الخصائص السلوكية، والتى تمثل انحرافا عن السلوك السوى لأقرانهم العاديين، ويظهر تأثير هذه الخصائص على تقدم الفرد فى المدرسة وهى:

«العدوانية المرتفعة، القلق، الاندفاعية، الحركة المستمرة، التغيرات الانفعالية السريعة ، القهرية أو عدم الضبط، السلوك غير الاجتماعى، التكرار غير المناسب لسلوك ما، الانسحاب الاجتماعى والسلوك غير الثابت، العجز عن مسايرة الأقران، تشتت الانتباه بسهولة، التغيب عن المدرسة كثيرا، إساءة فهم التعليمات اللفظية، الاعتماد على الآخرين والاتكالية، النشاط الحركى الزائد، «المفرط».

ب ـ خصائص عقلية ومعرفية:

على الرغم من أن الأفراد ذوى صعوبات التعلم يعانون بصفة عامة من مشاكل دراسية، إلا أن منهم ذوى صعوبات تعلم قراءة أو كتابة أو حساب أو علوم أو أى مادة دراسية أخرى، ويمكن تلخيص هذه الخصائص والسمات العقلية والمعرفية فى:

(قصور الانتباه وقصور التآزر الحسى، اضطرابات واضحة فى العمليات العقلية المعرفية مثل الإدراك والانتباه والذاكرة، عجز واضح فى القدرة على تحويل وتشفير وتخزين المعلومات ، تبنى أنماط معالجة معلومات غير مناسبة لمتطلبات حجرة الدراسة، تتدخل وتؤثر سلبيا على مقدار تعلمهم للمهام الدراسية).

ج ـ خصائص نفسية:

أجريت العديد من الدراسات بهدف تحديد الخصائص النفسية التى تميز هؤلاء الأفراد على أساس أنها من الممكن أن تستخدم كمحك لتشخيص صعوبات التعلم ووسيلة للتعرف على هؤلاء الأفراد، ووجد أنهم يتميزون بالخصائص التالية:

(انخفاض تقدير الذات، انخفاض الدافعية للإنجاز، انخفاض مستوى الطموح، يظهرون ضعفا ملحوظا فى تقدير السلوك).

د ـ خصائص لغوية:

وتتمثل هذه الخصائص اللغوية فى معاناة الأفراد ذوى صعوبات التعلم من صعوبات فى اللغة الاستقبالية واللغة التعبيرية، كما يمكن أن يكون كلام الفرد الذى يعانى من صعوبات التعلم مطولا ويدور حول فكرة واحدة أو مقصورا على وصف خبرات حسية، بالإضافة إلى عدم وضوح بعض الكلام نتيجة حذف أو إبدال أو تشويه أو إضافة أو تكرار لبعض أصوات الحروف، هذا بالإضافة إلى مشكلة فقدان القدرة المكتسبة على الكلام وذلك بسبب وجود اضطراب بالنصف الكروى الأيسر للمخ والمسئول عن اللغة.

هـ ـ خصائص حركية:

يظهر الأفراد ممن لديهم صعوبات فى التعلم مشكلات فى الجانب الحركى ومن أهم هذه المشكلات:

١ـ المشكلات الحركية الكبيرة: والتى يمكن أن تلاحظ لدى هؤلاء الأفراد وهى تشتمل على «مشكلات التوازن العام وتظهر على شكل مشكلات فى المشى والرمى والإمساك أو القفز أو مشى التوازن، يتصف الفرد بأنه أخرق يرتطم بالأشياء بسهولة»

٢ ـ المشكلات الحركية الصغيرة الدقيقة: والتى تظهر على شكل طفيف فى الرسم والكتابة واستخدام المقص، وغيرها كما يجد صعوبة فى استخدام أدوات الطعام كالملعقة والشوكة والسكين أو فى استخدام يديه فى التلوين

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الخصائص السابق ذكرها والتى تميز الأفراد ذوى صعوبات التعلم عن غيرهم من فئات ذوى الاحتياجات الخاصة الأخرى قد نلاحظ بعضا منها فى بعض الأفراد وليس الآخرين.

وأخيرا يرى كاتب هذه السطور ـ وهى رؤية من كاتب متخصص فى صعوبات التعلم ـ بأن القضاء على ظاهرة صعوبات التعلم وتراجع المستوى الدراسى للمتعلمين، هى مهمة معقدة ومركبة، ولكنها ليست مستحيلة، إذا وجدت الإرادات المواطنة الحقيقية والمخلصة لكل الشركاء والفاعلين التربويين وعلى رأسهم الدولة التى هى المسئول الأول عن توفير المناخ المادى والاجتماعى والتربوى المناسب للدفع الحقيقى لتحدى جعل التربية والتكوين ثانى أولوية وطنية بعد الوحدة الوطنية ورهانات التعميم والجودة والتحديث.. ورغم ما نسجله من مجهودات رسمية فى هذا المجال فأنه يجب الدفع من وتيرة التعبئة المجتمعية والرسمية الحقيقية لإعادة الفعالية المرجوة للمدرسة والثقة فى جدية وأهمية الوظيفة المجتمعية للمدرسة فى الرقى المعرفى والنفسى والاجتماعى والاقتصادى والحضارى بالأفراد وبالمجتمع على حد سواء حتى ننتقل بالأفراد ذوى صعوبات التعلم من دافعية سالبة معطلة إلى دافعية موجبة نشطة ترفع معدل الأداء الدراسى

بقلم:

سليمان عبدالواحد يوسف

دكتوراه فى علم النفس التربوى – جامعة قناة السويس وعضو رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم)